مَفهوم سُنن الله الاجتماعيّة في القرآن الكريم

د. صديقة عبد العظيم أبو الحسن

تقديم:

الكم الهائل الذي لا يحصى، ولا يمكن أن يحاط به من مواد مائدة الله تعالى في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية، يفرض على المفسر للقرآن والشارح للسنة: أن يقطف الداني والبادي الذي يتراءى له، ثم يمضي سريعا في مسيرته، يحاول أن يجني ما يتيسر له من الثمار المتدفقة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، فهو لا يمكنه أن يحط رحاله عند نبع لآية، أو جدول لحديث.

فالمفسرون على تنوع مشاربهم، وتعدد إمكاناتهم، وتفاوت فيوض الله على أفرادهم، لا يمكن لأي منهم إلا أن يكون مثل الفراش، أو مثل نحل العسل، يحط على ما يدرك من زهور البستان: العبقة روائحه، الزاهية الفاتنة زهوره، الشهي رحيقه، فلا يكاد يحط على زهرة حتى تجذبه جارتها، فيمضي سريعا منجذبا إليها، فلا يكاد يحظى بنعومة أهدابها، أو يستمتع بشيء من فتنة ألوانها وبديع تشكيلها، ولا يكاد يرشف من رحيقها، أو يستمتع بأريجها، فهو دائما تستهويه جارة وجارات، وآلاف الرفيقات المنافسات.

فكل ناظر في القرآن سيتبدى له، بقدر ما يتيسر له، وكل مقبل عليه - تعبدا أو دراسة وتفقها - سيفتح الله له بقدر ما توافر عنده من إخلاص وقرب، ووسائل وأدوات علم.

ومهما اكتشف الباحثون، وغاص السابحون في بحور هذه المائدة، فستبقى مائدة الله عامرة، زاخرة، متجددة، لا ينضب لها معين، ولا يبلى لها دلاء.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ (الإسراء: ٨٥).

وقال جل شأنه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ (الكهف: ١٠٩).

فإذا شغلت الباحث قضية ما لجأ إلى أهل الذكر فيها، ممن سبقوه في ارتياد حياض بستان القرآن، ومائدة الرحمن، فقد يجد فيما تزودوا منها، وما فهموا من معانيها، وما فتح الله لهم من كنوزها،ما يبلغه غايته، أو ينير له طريقا، أو يفتح له بابا إلى هدفه.

وقد يكون ما هدف إليه لم يشغل بال من سبقوه، أو تكون دلاؤهم قد وصلت إلى بعض مبتغاه فقط، فيجد نفسه وحيدا في طريق، وأن عليه أن يأخذ للأمر عدته ووسائله، ويتوكل على الله، ويطلب عونه.

فعليه - إذن - أن يقبل بنفسه يرتاد مائدة الله، بحثا عن الزاد الذي تعلقت به نفسه منها.

وسنن الله (الكونية) قد ارتادها بعض الباحثين، وأما سنن الله (الاجتماعية) فهي ميدان بكر، قد يكون بعض الباحثين قد حوم أو اقترب من بعض شواطئه، ولكن لم يقدم فيه بحوثا مغنية.

لهذه العوامل كنت أتهيب الانغماس والغوص في لجة هذا الموضوع، فكنت أحوم حول شواطئه، أستقريء الآيات التي تضمنت لفظ «سنن» ومشتقاتها، وأتلمس الآيات التي أشعر أنها تتضمن سنة من سنن الله الاجتماعية، وأجول في أقوال مشايخنا المفسرين وما استأنسوا به، مما يسر الله من مائدته لروادها من الصحابة والتابعين، والعلماء والباحثين، حتى شعرت بأن الله فتح لي بعض النوافذ والأبواب، وقرب إلي بعض الشواطىء، وألهمني بعض الأسباب، وتجمع لي من مواد مائدة الله في هذا الموضوع ما يجب عليَّ إبرازه، وفاء لنعمه التي توافرت، حتى لا أكون قد كتمت علما أفاض الله به عليَّ.

وبما أن نطاق البحث محدود بعدد من الصفحات، بل إن بعض المجلات العلمية تحدد النطاق بعدد من الكلمات، لا ينبغي تجاوزه، وبما أنه لا بد من أن يتحقق الغرض من التعريف بسنن الله الاجتماعية، لذلك آثرت أن أقدم بحثا أوليا يتناول: مفهوم السنن، ويبرز تصورا «لسنن الله في المجتمعات الإنسانية» ويبرز - لأول مرة - تعريفا اصطلاحيا لها، وخصائص هذه السنن، وبعض النماذج منها.

وفيما يلي خطة البحث، ثم محتوياته:

أولا - خطة البحث:

١ - لقد اعتمدت في هذا البحث على حصر الآيات التي تضمنت كلمة «سنن، سنة.»

٢ - وبما أن اللغة العربية هي وعاء القرآن الكريم والسنة النبوية، والتراث الإسلامي للسلف الصالح، والمفسرين والعلماء، فقد اعتمدت على معاجم مفردات اللغة لمعرفة معاني «سنن، وسن»، ثم على معاني الكلمات القرآنية التي عرضت في سياق الآيات التي تناولها البحث.

٣ - ثم إن هناك معاجم ألفاظ ومفردات القرآن كانت أكثر حصرا لهذه المعاني، وتخصيصها لكل لفظ منها حسب سياق الآيات التي ورد بها، لذلك كانت الاستفادة منها أمرا ضروريا.

٤ - ثم أقوال العلماء والمفسرين الذين تعرضوا لتفسير هذه الآيات، سواء منها ما قرب من مجال وجو البحث، أو انحصر في مجال آخر.

٥ - ثم ظلال الآيات كان لها زاد آخر هام، أفدت منه كثيرا.

٦ - ثم كان من أهم هذه الروافد إحساسي الشخصي وتذوقي للآيات وإيحاءاتها، وللسياق من أول السورة، وخاصة الآيات التي تضمنت

توجيهات (أوامر ونواهي، وترغيبا وترهيبا) والتي تضمنت تشريعات، وما تضمنت حديثا عن آيات الله وسننه في عباده، والتي جاءت الآية - التي تضمنت نص كلمة سنة، وسنن - تعقيبا عليها، أو أساسا تفرع منها غيرها، أو مثالا ورد على مثالها سنن تالية لها، فظهر لي فيها تذوقات جديدة وعلاقات، بعضها لم يلحظ، أو لم يلحظ كاملا.

٧ - ثم جمعت المعاني التي توافرت في جداول مقارنة ومقربة لنواحي الارتباط بينها، فأمكن استنباط تعريف اصطلاحي لها.

٨ - ومن خلال جمع الآيات التي تضمنت «سنن، وسنة» وعقب في آخرها بعبارة سنة الله كانت هناك آيات ختمت بعبارتين دلتا على خصائص سنن الله تعالى، فأبرزت هذه الخصائص، واستشهدت عليها من تاريخ الأنبياء، وسنن الله معهم، ومع أقوامهم.

ثانيا - محتويات البحث:

١ - مقدمة

٢ - دواعي ودوافع البحث

٣ - بين نزول مادة سنن الله في القرآن، وظهور المصطلح العلمي نشأة مصطلح «سنن الله الاجتماعية».

٤ - معنى سنة في اللغة.

٥ - عرض الآيات التي تضمنت ماده «سس

٦ - سنن الله الاجتماعية في الفكر الإسلامي خاصة ما ورد في بعض تفاسير القرآن الكريم، وشروح الحديث النبوي.

٧ ـ صيغ مادة «سنن» في القرآن الكريم.

٨ ـ تعريف «سنن الله» اصطلاحا.

٩ ـ القرآن الكريم أول من أرشد إلى سنن الله الاجتماعية.

١٠ ـ نماذج من سنن الله تعالى في المجتمعات.

أ ـ عرض لآيات سنن الله الاجتماعية في سورة آل عمران.

ب ـ عرض لبعض آيات سنة «شكر النعمة وكفرها».

١١ ـ خاتمة: تتضمن ما كشفت عنه هذه الدراسة من حقائق، وما توصلت إليه من نتائج.

١٢ ـ مراجع البحث.

دواعي ودوافع بحث سنن الله الاجتماعية «في المجتمعات»

دواعي بحث موضوع سنن الله في المجتمعات متعددة:

الأول: ظهور عدد من البحوث في الآيات التي تتضمن نصا أو إشارة إلى صور مما نسميه اليوم «الإعجاز العلمي»، وصور مما يطلق عليه «سنن الله الكونية».. وهذان المجالان يمكن الإفادة منهما في مجال الدعوة إلى الإيمان بالله، ومجال «الرقائق».

أما الآيات التي تضمنت تاريخ وقصص السابقين، وآيات في سلوكيات الأفراد والمجتمعات الإنسانية، وسنن الله الاجتماعية فيها فلم تلق الاهتمام الكافي، على الرغم من الأهمية القصوى لدراسة هذا الجانب، وأثره في تقويم وتصحيح نظرة الناس للدين وشرائعه، والالتزام بها، وأخذ العبرة والدرس مما حل بالسابقين، والإفادة من تجارب البشرية، وما حل بها من سنن الله تعالى.

الثاني: ومن الدواعي: ما يلفت النظر من عناية القرآن الكريم بأخبار السابقين، وسرد قصصهم، وبيان سبب ذلك، وحكمة الله فيه، من مثل قوله تعالى:

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ..﴾ (هود: ١٢٠).

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ (طه: ٩٩).

﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ (الأعراف: ١٧٦).

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (يوسف: ١١١).

الثالث: في آية آل عمران: يلفت الله - تعالى - نظرنا إلى سننه سبحانه في المجتمعات البشرية ﴿**قد خلت من قبلكم سنن**﴾ ثم يدعونا إلى التعرف على ما وقع للسابقين من هذه السنن ﴿**فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾ ثم يختم الله الآية الكريمة ببيان الداعي والغاية والحكمة من

الإشارة إلى هذه السنن: ﴿**هذا بيان للناس وهدى وموعظة**﴾ ولكن هذا البيان والهدى والموعظة إنما ينتفع بها من ليس على قلوبهم ران من الشهوات والذنوب، فهي إذن ﴿**بيان وهدى وموعظة للمتقين**﴾ وبيان لغيرهم لعلهم يهتدون، فإن لم يهتدوا فهي حجة عليهم يوم الدين.

الرابع: ثم واقع المسلمين اليوم: الواقع الفكري، والسياسي، والاجتماعي والاقتصادي.

أ ـ فأما الواقع الفكري: فنرى الأمة الإسلامية التي كان فكرها مستمدا ومصطبغا بعقيدة التوحيد، قد أثرت فيه سموم الأفعى الصهيونية، وآثار حقد وأطماع الصليبية الأوروبية، وواجهتهما ومقدمتهما اليوم: الدولة الأمريكية، وليس في هذا القول تهويل لدور الصهيونية والصليبية، وإسقاط لضعفنا وتخلفنا عليهما، ومحاولة لإيجاد مبرر لأخطائنا، ولكنه رصد لأحوال أمم أصحاب الرسالات الثلاث التي يدين بها أو ببعض بقاياها المؤمنون بالله، على تفاوت عوامل الصحة والتحريف في عقائدهم وشرائعهم. (٧: حاضر العالم الإسلامي - د.علي جريشه).

فأما الإسلام فقد صمد أمام محاولات التحريف التي بذلها أعداؤه: من اليهود، والمجوس، والنصارى. فظلت أصوله (القرآن والسنة) محفوظة بحفظ الله وحفظ رسوله وخلفائه والمسلمين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر: ٩).

ب ـ وأما النصرانية فلم تصمد طويلا، فقد شاء قدرها أن يعيش شعبها مع نبيهم ثلاث سنوات ونيف من الشهور فقط، في ظروف ملاحقة من اليهود، ثم عاشوا بعد رفع المسيح أكثر من ثلاثة قرون (٣٢٠ سنة) في الخفاء (إلى أن أعلن الامبراطور الروماني قسطنطين اعتناقه المسيحية) فلم يعقد أول مجمع كنسي (مسكوني) جهرا إلا عام ٣٢٥م، فأتاح هذا التخفي الطويل لأعداء المسيحية أن يبثوا سمومهم في صفوف المدعوين لها، فانحرفوا بعقيدتها وشريعتها وطقوسها، فلقد استطاع (شاول اليهودي) بولس أن

ينشر باسم المسيح مسيحية غير مسيحية المسيح، مسيحية تنافق الرومان الوثنيين، مسيحية هي خليط من بعض أقوال المسيح عليه السلام، ومن بعض شرائع اليهود، ومن وثنية وطقوس اليونان، وثالوث اليونان والبوذيين والبراهمة، وصوفية أو رهبانية الهنود والصينيين، وأصبح بولس الرسول الأكبر، ووصاياه أساس فكر النصارى اليوم، وإن زاحمه غيره فعلى استحياء.

ج - أما اليهودية التي بعث بها موسى فقد تخلص منها اللاويون في فترة التيه، وما بقي من صحفها تعاورته أيدي أصحاب الأهواء، ثم دمر صحفها الملحدون الذين تولوا حكم بني إسرائيل بعد داود عليه السلام، ثم قضي على ما بقي صحيحا وما حرف منها في تدمير أورشليم والهيكل (مدينة القدس وبيتها) في الغزوات المتلاحقة من الفرس والفراعنة والرومان، وقضي على الشخصية اليهودية في غزوة بختنصر والأسر البابلي.

وقد أظهرت الدراسات أن الأسفار اليهودية الحالية قد ألفت بعد عصر موسى - عليه السلام - بأمد طويل، فعصر موسى - عليه السلام - كان على الأرجح - في القرن (١٤ أو ١٣ ق.م) في حين أن أسفار التوراة الخمسة ألفت في الفترة من القرن التاسع إلى القرن الرابع - قبل الميلاد، وأن باقي الأسفار (٣٤ سفرا) قد ألفت في هذه الفترة تقريبا[١].

أما المشناة فقد ألفها الأحبار والربانيون اليهود من الفريسيين وعددها (٦٣) سفرا في شئون العقيدة والشريعة والتاريخ، خلال القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، أما الجمارا فقد ألفت خلال الفترة من القرن الثاني إلى السادس الميلادي - ومن المشناة وشرحها الجمارا يتكون «التلمود»، وهو أقدس عندهم من التوراة.

وقد نفث اليهود في هذا التلمود وفي بروتوكولات حكماء صهيون حقد

(١) يراجع الأسفار المقدسة للديانات السابقة على الإسلام - د.علي عبدالواحد وافي.

ومرارة ما لاقوه من اضطهاد عبر تاريخهم، أو بعبارة أصح، ما لاقوه من عقوبات من الأمم التي ذاقت من مكرهم وخداعهم وخياناتهم وأنانيتهم واستعلائهم وشرورهم.

وقد شرب الغرب المسيحي سموم وحقد الأفعى اليهودية، وتلوى كما تلوت، وتلون كما تلونت، وظهر ذلك في شكل نظريات وفلسفات علمانية، وداروينية، ووجودية، وغيرها. وشرب الشرق القيصري المسيحي - أيضا - سمومها في شكل شيوعية ماركسية، ولينينية، وماوية، وغيرها. (حاضر العالم الإسلامي - المصدر السابق).

وانهارت المسيحية أمام هذه المذاهب والنظريات وتلونت بألوانها، وصمد الإسلام، وبقيت أصوله (القرآن والسنة) دعما للعقيدة والشريعة، والنظم والأخلاق الإسلامية، فكان لا بد لقوى الصهيونية الحاقدة على الأمم، وأيضا على أديانها، ولقوى الصليبية التي تشربت فكر الصهيونية وأسلمت إليه قيادها، وتلاقت مصالح حكامها الاستعمارية مع مصالح الصهيونية: من التعاون ضد المسلمين الذين مالوا إلى الترف والفرقة، والتراخي عن الاستمساك بتوجيهات الإسلام.

مما أتاح لأعداء الإسلام: الحاقدين على المسلمين، والطامعين في الاستيلاء على ما في أيديهم - أتاح لهؤلاء الفرصة للقضاء على خلافة ووحدة المسلمين، ثم اقتسام البلاد الإسلامية في القارات الثلاث بين المحتلين الأوروبيين، وتعاونوا وتواصوا على تنفيذ وصايا قائد الصليبين «لويس التاسع عشر» وأهمها: تغريب المسلمين عن لغة القرآن وتراث الإسلام، وفصل الإسلام عن كل مجالات حياة المسلمين، وغزو المسلمين فكريا، (وقد تعاون المحتلون على ذلك، حتى اقتلعوا اللغة العربية من خطاب معظم الدول الإسلامية، ومن العديد من الدول العربية، وسيطروا على التعليم، الذي كان يستمد من القرآن وتوجيهات الإسلام، فأقاموه على أسس ومناهج علمانية، وأصبح الدين فرعا، وجعلوه قاصرا على أمور بعض العبادات، وأصبح

يدرس بأساليب عقيمة منفرة، وجعلوه ثانويا بالنسبة للعلوم الأخرى، وأسندوا تعليمه لغير المتخصصين في العلوم الدينية.

- وصار الإعلام علمانيا، يعمل على تحطيم القيم الإسلامية.

- وصار الاقتصاد يقوم على أسس ربوية.

وبدأ مع الحروب الصليبية غزو فكري للشرق الإسلامي، ويسرت له السبيل بعد احتلال الدول الصليبية للبلاد الإسلامية. ومن مظاهره:

١- **انتشار الفكر العلماني**: وهو صناعة يهودية في الأصل، قضت به على نفوذ الكنيسة في أوروبا، ثم صدر للمنطقة الإسلامية بيد صفوة من أبناء البلاد، يختارونهم من أصحاب الطموح والنبوغ، فيحتضنونهم في السر، أو يمنحونهم المنح للدراسة في المعاهد والجامعات الغربية، أو يسيطرون عليهم أثناء دراستهم هناك، ثم يمهدون لهم السبيل ويرفعونهم لأماكن الصدارة، قادة: سياسيين وعسكريين، وقادة وكتّابا في وسائل الإعلام، وأساتذة في الجامعات، فهذا عميد للأدب العربي، وذاك أستاذ للجيل، وآخر رائد للنهضة العربية، وتلك أم. ل. . . .».

ففي مجال القيادة العسكرية والسياسة والحكم: مثلا مصطفى كمال (أتاتورك) تهيأ له تمثيلية، ليظهر بطلا قوميا محررا لبلده، فيطلق عليه لقب الغازي - فلا تمضي عليه سنة حتى ينفذ ما أعد له، فيعلن انتهاء الخلافة، وقيام جمهورية تركية تتخلى عن قيادة الأمة الإسلامية، وتخلع تركيا من الإسلام، وتخلع العربية من تركيا، ويجبر الشعب والدولة على الخطاب باللغة الطورانية القديمة، مكتوبة بحروف لاتينية حديثة (الانجليزية) وتنسخ من أتاتورك نسختان عربيتان تدعمان وجود إسرائيل، وتمهدان للاعتراف بكيانها في فلسطين.

٢- **انتشار الفكر القومي**: والقومية بالمفهوم الإسلامي دعوة إلى العصبية التي محاها الإسلام، وجعل الناس جميعا أخوة متحابين متعاونين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم العصبية بقوله: «دعوها فإنها منتنة». ولذا فقد عمل الصهاينة والصليبيون على إذكاء أوارها في العالم الإسلامي، فتشكلت في الغرب جمعيات سرية تدعو وتحزِّب الأنصار لانتشار الفكر القومي في البلاد الإسلامية:

أ - القومية الطورانية في تركيا، وتركيا الفتاة.

ب - القومية العربية في الحجاز والبلاد العربية.

ج - الفارسية في إيران.

د - الكردية في العراق.

هـ - الأردية، والبنجالية في الهند.

و - البربرية في المغرب العربي.... الخ.

فقضى بذلك على:

أولا: على الخلافة العثمانية الإسلامية، فتفرقت جماعتهم، وتبددت قوتهم.

ثانيا: وصرف نظر المسلمين عن تكوين الجامعة الإسلامية، وأنشيء بدلا منها في المنطقة العربية - جامعة الدول العربية.

وقامت على الفكر القومي جماعات وأحزاب، ولا تزال حتى الآن تمسك بزمام الحكم والفكر بعد تعاونها مع أعداء الإسلام في القضاء على الخلافة، ولا زال دعاتها يحرصون على إحلال الفكر القومي والعلماني محل الفكر الإسلامي في التعليم، ووسائل الإعلام، والاقتصاد، والقوانين، وأساليب الحكم، وغيرها. بل ويحاربون الدعوة للعودة للإسلام.

٣- انتشار الفكر الوجودي: وما يخلفه في وسائل الإعلام من أعمال توصف بالفن والإبداع، وتدور حول قصص الجنس، وتصنع من كتابها وممثليها ومغنيها أبطالا ورموزا، وما يخلفه ذلك في نفوس الشباب وغيرهم من انحلال وميوعة وضلال عن المثل الرفيعة، وانصراف عنها، وكذلك ما عملوا في مجال التعليم

من اختلاط وما يترتب على ذلك من آثار سيئة خاصة في سن المراهقة، حيث تظل أفكاره ودواعيه تلازم الإنسان طول حياته[٢].

٤- **انتشار الفكر الماركسي**: وآثاره الإلحادية والفوضوية، وما صاحب الولاء له من نظم حاربت الإسلام، وصبت على المتدينين ودعاة الإسلام وعلمائه صنوفا: من العذاب، والتضييق، والقهر، والقتل، والتشريد، وانتهاك الحرمات، والتشهير، وغير ذلك من المآسي.

علاوة على الحكم الديكتاتوري، ومصادرة الثروات وتأميمها مما أنزل الكساد بالاقتصاد، وأصاب الأمم بالفقر والتخلف الحضاري، وكبلها بالديون، علاوة على ما عانت من كبت الحريات، وإرهاق النفوس، وذهاب الأمن، وتقطيع الروابط، والإخلال بالقيم والتقاليد.[٣]

٥- **ضرب الحركات الإسلامية**: تفجرت في العالم الإسلامي - بعد إلغاء الخلافة عام ١٩١٨م حركات إسلامية تحمل أسماء عديدة، والتقى أكثرها على مفهوم «شمول الإسلام» فهو: عقيدة وشريعة، علم وعمل، حكم وشورى... إلخ.

بل ونادى بعضها بوجوب إعادة الوحدة الإسلامية، وحكم دولة الخلافة، وإن تحفظت بأن دون ذلك خطوات وخطوات، وأحست الصهيونية والغرب الصليبي، والشرق الشيوعي، والأحزاب ونظم الحكم، والكتاب، وغيرهم، من الذين تلتقي مصالحهم - في تفتت الأمة الإسلامية - جميعا بخطر هذه الدعوات على مصالحهم، فأفزعهم هذا، وتعاونوا لضربها والقضاء عليها، وقد كشفت وثائق عرضت أمام القضاء عن وقوف بعض الدول الغربية ثم بعض الدول الشرقية وراء ضرب هذه الجماعات (نشرت مكتبة الأنصار ومكتبة وهبة وغيرهما في القاهرة - عددا من الكتب جمعت هذه الوثائق) ثم كشفت بعض الكتابات أن اليهود أنفسهم وراء ضرب الحركات الإسلامية، فقد نشرت صحيفة «أدعيوت أحرونوت»: أن إسرائيل مارست ضرب

(٢، ٣) عايش الباحث معظم هذه الأحداث وتناولها في محاضرات وخطب جمعة.

الحركات الإسلامية خلال الثلاثين سنة الماضية عن طريق أصدقائها في العالم العربي.

وجاء في كتاب: «لعبة الأمم» لمايلز كوبلاند: «...الانقلاب العسكري الذي وقع في (؟) كان ضرورة لمنع ثورة الشعب التي كان سيقودها إحدى الجماعات الإسلامية الكبرى.»(٤)

الداعي الخامس: أحداث غزو الكويت:

عقب تحرير الكويت وعودة الدراسة والأنشطة الثقافية والأكاديمية إلى الجامعة كلفت بتحرير ركن «آفاق الإسلامية»، (في صفحتين) من مجلة آفاق الأسبوعية، التي تصدرها جامعة الكويت، وبالطبع تناولت هذه الزاوية أحداث الكويت، وكان منها بعض مقالات تحت عنوان «الابتلاء والفتنة»، وانتهيت في ختامها إلى أن الابتلاء سنة من سنن الله في المجتمعات، وكنت أنوي أن أتحدث عن سنن الله «الكونية والاجتماعية» لكن تلاحق الأحداث لا يترك للكاتب الملتزم بزاوية أسبوعية فرصة للبسط والاستقصاء، فتولد في نفسي دافع أن أفرد للموضوع بحثا مستقلا، وفي الفصل الدراسي الثاني من العام ٩١/١٩٩٢ تقرر أن تقيم كلية الشريعة مؤتمرا بعنوان «**الاحتلال العراقي لدولة الكويت من منظور الشريعة الإسلامية**» وأردت أن أهتبل الفرصة وأكتب عن سنن الله الاجتماعية (سنن الله في المجتمعات) ولكن اقتضت الضرورة أن أتناول دعوى العراق بأن الكويت محافظة من محافظات العراق، وأنها كانت تابعة للواء البصرة، واضطررت لتناول تاريخ الكويت منذ العصر العباسي، ثم أثناء الخلافة العثمانية إلى إعلان استقلاله ١٩٣٢م، وتبين أن الكويت منذ نشأتها وحلول قبائل العتوب في هذه البقعة من شمال الجزيرة كانت كيانا متميزا، له ذاته المستقلة، فلم تكن جزءا من الدولة العثمانية، ولا من العراق، بل كانت هذه المنطقة جزءا من الأحساء، تحت حكم أميرها

---

(٤) وعى الباحث هذه الأحداث وعايشها منذ عام ١٩٤٧ إلى الآن. يراجع: حاضر العالم الإسلامي - د.علي جريشة ٦٧، ٦٨، ط وهبة - القاهرة - الرابعة ١٩٩١.

الشيخ براك. وفي مقابل الخدمات الجليلة والمساعدات الكبيرة التي قدمها كل من الشيخ صباح الأول - زعيم آل الصباح، وكبير قبائل العتوب - قدم الشيخ براك هذه المنطقة هدية لآل الصباح والعتوب، مكافأة لهم على مساندتهم له، واستطاع آل الصباح الحفاظ على استقلال منطقتهم باتباع سياسة التوازن، حيث استغلوا تضارب نفوذ الدولة العثمانية في العراق، وحكم آل خالد في الأحساء، ونفوذ انجلترا وسيطرتها على الخليج والهند، للحفاظ على استقلالهم، بل إنهم تحدوا ألمانيا، ورفضوا منحها موضعا في رأس الخليج جنوب البصرة، ليمتد إليه خط سكة حديد الشرق (الذي يبدأ من برلين مرورا بالأستانة وانتهاء ببغداد) إلى شمال الخليج، على الرغم من إلحاح الحكومة العثمانية في ذلك.

ثم تحدثت عن الادعاءات الأخرى، وانتهيت إلى أن أحداث الغزو على أي حال كانت نوعا من الابتلاء، والابتلاء سنة من سنن الله في المجتمعات، ولكن ذكر الابتلاء وأنه سنة كان حديثا عابرا، نظرا لضيق الحيز من جهة، والتركيز على تفنيد ادعاءات الغزاة الباطلة من جهة أخرى، وكان البحث بعنوان «غزو الكويت منحة وابتلاء» وكان موجز البحث هو المحاضرة الثانية في المؤتمر، ويشغل البحث اثنين وأربعين صفحة من الكتاب الذي أصدرته كلية الشريعة لاحقا بنفس العنوان.

السادس: كانت هذه الأمور مجتمعة دوافع. ولكن أهم الدوافع: هو أن إظهار سنن الله الكونية، والسنن الاجتماعية، والإعجاز العلمي في القرآن والحديث النبوي من أهم وسائل الدعاة للإسلام الآن بلغة العصر الذي يسوده الفكر الإلحادي والعلماني والوجودي، وفي نفس الوقت تتلاحق المبتكرات العلمية التي تبهر العقول، وتستهويها، وتترعها بالرفاهية والمتع الحسية، بما يلهي الناس عن ذكر هدى الله وشكره وحسن عبادته، ويلهيه عن القيام برسالته في الحياة.

فإبراز السنن وصور الإعجاز يؤكد أن القرآن والسنة وحي أوحى بهما الإله العظيم الذي خلق هذا الكون العظيم الذي يتبوأ فيه الإنسان مكان الصدارة، حيث خلقه في أحسن صورة، وسخر له كل ما في الكون، وجعله خليفة

فيه، وأرسل له رسلا، وأنزل له كتبا، تهديه إلى الصلاح في الدنيا، وإلى الفلاح في الآخرة.

بين نزول «سنة وسنن» في القرآن الكريم وظهور المصطلح العلمي

هناك فترة زمنية شاسعة بين نزول الآيات التي تضمنت كلمات سنة وسنن، وبين ظهور تعبير «سنن الله الكونية، وسنن الله الاجتماعية» كمصطلحات علمية، تعريفا لموضوعات قرآنية، فأول آية تضمنت كلمة «سنة» نجدها في سورة فاطر التي سبقت نزول سورة مريم، وكان نزولها قبل هجرة الحبشة، إذ أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قد قرأها للنجاشي، وقبلها وقبل سورة طه التي أسلم عمر حين قرأها، فكان نزول سورة فاطر قبل إسلام عمر بفترة غير قليلة، وعمر أسلم في السنة الخامسة أو السادسة من البعثة النبوية، وفيما يلي عرض للآيات التي تضمنت كلمات سنة وسنن حسب ترتيب نزول سورها، يعقبه زمن ظهور المصطلح:

م	كلمة سنة في آيتها	رقم الآية	اسم السورة	مكان نزولها	ترتيب النزول	ترتيب المصحف
١	«فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ» - فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا - وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا	٤٣	فاطر	مكية	٤٣	٣٥
٢	- «سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا»	٧٧	الإسراء	مكية	٥٠	١٧
٣	«وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ» * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ.	١٣	الحجر	مكية	٥٤	١٥
٤	«فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا» - «سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ»	٨٥	غافر	مكية	٦٠	٤٠
٥	«وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ»	٥٥	الكهف	مكية	٦٩	١٨
٦	«قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ»	٣٨	الأنفال	مدنية	٢	٨
٧	«قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ»	١٣٧	آل عمران	مدنية	٣	٣
٨	**«ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل...»** - «لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ». - لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ - سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا.	٦٢	الأحزاب	مدنية	٤	٣٣
٩	- «يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»	٢٦	النساء	مدنية	٦	٤
١٠	- «وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» - سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا	٢٣	الفتح	مدنية	٢٥	٤٨

نشأة مصطلح «سنن الله الاجتماعية»:

تمهيد (نبذة تاريخية):

المتأمل في أحداث هذه النبذة التاريخية سيلحظ أن أحداثها أيضا من سنن الله تعالى في المجتمعات.

فقد تعرضت البلاد الإسلامية نتيجة تراخي عامة المسلمين عن الالتزام بآداب الإسلام، وانحراف بعض قيادات الدولة في سياسة الرعية، وجنوح بعض الزعماء (الأمراء على بعض الولايات) إلى موالاة أعداء الأمة الطامعين في القضاء على الخلافة، الذين انتقلوا من بحث (المسألة الشرقية) إلى كيفية القضاء (على الرجل المريض - ثم اقتسام تركته) تعاونوا مع هذه التجمعات لقوى الدول الصليبية، التي التقت مصالحها مع مصالح الصهيونية، فتعرضت البلاد الإسلامية إلى تضليل موجات المستشرقين والمنصرين، وجنود الغزو الفكري، وعلمنة التعليم والإعلام والقوانين، وتبديل العادات والتقاليد والمظاهر الإسلامية ببدائل غربية علمانية، مما أدى إلى ضياع وحدتها، واستقلالها، ونهب مواردها، وتغريب معظم أبنائها عن لغة كتابهم، وجهلهم بآداب وتشريعات دينهم، وبث الفتنة وعدم الثقة والريبة والخصومة، وأحيانا الحروب بين عناصر الأمة.

ونشر المحتلون بين أبنائها المذاهب الهدامة، والفكر الإلحادي، والقيم الغربية على أيدي المستشارين الغربيين في ظل الاحتلال العسكري، وعلى أيدي طموحين يلتقطونهم من أبناء البلاد الإسلامية، يعدونهم فكريا وعلميا، ويمهدون لهم الطريق، ليصلوا إلى الصدارة في مجالات التوجيه في التعليم والثقافة ووسائل الإعلام والرعاية الاجتماعية، ومراكز القيادة في الحكومة والجيش والشرطة والنقابات المهنية والعمالية، يهدفون في النهاية للقضاء على الإسلام.

ولكن ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠) أرادوا

القضاء على الإسلام ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (التوبة: ٣٢).

فقد بذرت بذور صحوة إسلامية، بدأت منذ أواخر عصر الخلافة العثمانية، بذرها المجاهد الكبير جمال الدين الأفغاني، وغذاها تلميذه الإمام محمد عبده، وجمع غراسها تلميذه محمد رشيد رضا، وحمل المشعل سعيد الدين نورسي، وحسن البنا، ومحمد بن عبدالوهاب، وأبو الأعلى المودري وغيرهم، وأينعت دعوتهم، وصار لها غراس، تخطى بعضها حدود إقليمها، بل إنها لتنتشر الآن في دول أوروبا وأمريكا وكندا، وحتى في البلاد التي كان يتكون منها الاتحادالسوفيتي، وقادة البوسنة الآن مثل حي لذلك.

وكان من ثمار هذه الصحوة أن نشط علماء الحركات الإسلامية في تجديد الفكر الإسلامي بالجمع بين أصالة التراث ومعاصرة الأساليب الموضوعية وسلاسة العرض، فنشطت حركة التأليف في مجالات متعددة، لتخرج كنوز التراث الإسلامي، بمنهج عصري، وأسلوب ثقافي.

ومن الموافقات الطيبة: أن كثيرا من البحوث في العلوم التجريبية قد توصلت إلى الكشف عن حقائق كونية تتوافق مع ما تضمنه القرآن من قضايا العقيدة، ومن إشارات عن نواميس كونية، اعتمد عليها الكتاب المسلمون وغيرهم، وأظهروا بها صورا من الإعجاز في الخبر التاريخي، والإشارات العلمية، والتشريع، وغير ذلك، مما تضمنه القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وتأصلت هذه البحوث اعتمادا على المعاني اللغوية، وأقوال السلف الصالح من الصحابة، ومن تبعهم من العلماء، عمرت بها كتب التفسير، وشروح السنة، وغيرها من التراث الفكري، فالبحوث التي اعتمدت على آيات قرآنية أو أحاديث نبوية تتحدث عن ظواهر ومركبات كونية، أطلقوا عليها «سنن الله الكونية، أو سنن الله في الكون» أو السنن الكونية في القرآن الكريم، أو في السنة، وما شابه ذلك.

وإذا كانت الآيات القرآنية «عن الظواهر الكونية» قد لقيت من العلماء عناية نتيجة لتوافر التجارب في مجالها، فإن الآيات والأحاديث التي تتضمن شئون

المجتمعات لم تلق ما لقيته قرينتها الكونية، ربما كان ذلك لعدم توافر البحوث الاجتماعية في هذا المجال، فعلم الاجتماع موصوف بأنه علم «علماني».

ولكننا لا نعدم كلمة خلال بحث أو تفسير أو تعليق على ظاهرة من الظواهر، أو كلمة عابرة عن «سنن الله الاجتماعية»، أو من سنن الله في المجتمعات، ومبلغ علمي أنه لم يظهر فيه مؤلف، أو يفرد له بحث.

فهذا المصطلح أيضا حديث النشأة، مع أن عبارات ﴿**قد خلت من قبلكم سنن**﴾، ﴿**سنة من قد أرسلنا قبلك**﴾، ﴿**سنة الأولين**﴾، ﴿**سنة الله في الذين خلوا**﴾ كلها عبارات قرآنية أوحى الله بها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان وهي منذ نزولها يقرأها المسلمون في مواضعها من سورها في القرآن الكريم، ومما يلفت نظر الداعية والباحث أن يكتشف أن عبارة ﴿. . فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ (فاطر: ٤٣) وهي شطر آية من سورة فاطر، بأن سورة فاطر من أوائل ما نزل من القرآن. فهي سورة مكية نزلت قبل السنة الخامسة من بعثة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ ودليل ذلك:

أولا: أنها نزلت قبل سورة طه، وسورة طه نزلت قبل مريم، ومريم قرأها جعفر بن أبي طالب للنجاشي في الحبشة، ومعنى ذلك أنه تلقاها من الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل هرجتهم الثانية للحبشة، والهجرة الأولى في ربيع من السنة الخامسة، والثانية بعد شوال منها.

ثانيا: أن ترتيبها في المصحف ٣٥ وفي النزول ٤٣، وأن ما قبلها كله كان من قصار السور، وأن الوحي فتر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث سنوات، ثم عاد النزول، وتتابع نزوله من السنة الرابعة من البعثة، وهجرة المسلمين للحبشة في السنة الخامسة.

ثالثا: عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أسلم في السنة السادسة من البعثة بعد أن قرأ سورة طه. وكان نزول سورة طه بعد نزول سورة مريم، وكان إسلام عمر بعد إسلام أربعين رجلا وعشرة نسوة فقط، فنزول أول آية تضمنت لفظ «سنة»

وهي الآية (٤٣ من سورة فاطر) كان قبل سنة خمس من البعثة، وخلال سنتين أو ثلاث من تتابع الوحي، ومن أوائل ما نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من القرآن الكريم[٥].

معاني «سنة» في اللغة:

- **السنة: لفظ مشتق من «سن»**

وسن، وسنة: استعمل كل منها في عدة معان، يتصل فيها بموضوعنا ما يلي:

١ ـ **«سن» الأمر**: بينه ووضحه.

ـ **«سن» الطريق**: مهده.

٢ ـ **سن فلان سنة**: وضع منهجا، وسار عليه، واتبعه عليه غيره.

ـ **سن الله سنة**: بين طريقا قويما لعباده.

٣ ـ **سنن الطريق**: نهجه، وجهته.

٤ ـ **السنة**: الطريقة والمثال: يقال: بنوا بيوتهم على سنة واحدة.

- **السنة**: الطريقة والخطة المتبعة.

ومن هذا المعنى ما أورد الشوكاني من شعر خال بن عتبة الهذلي:

فلا تجز عن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها[٦]

والسنة: الإمام المتبع: ومنه قول لبيد:

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمام[٧]

---

(٥) يراجع إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٢٦٧ - ٢٦٩ الطبقات الكبرى - لابن سعد.

(٦) لسان العرب ١٣/ ٢٢٥، فتح القدير ١/ ٣٨٣.

(٧) فتح القدير ١/ ٣٨٤، والبيت من معلقته التي مطلعها «عفت الديار . . .» ديوان لبيد بن أبي ربيعة - ط دار صادر بيروت.

٥ ـ **سنة النبي**: طريقته التي كان يتحراها.

٦ ـ **سنة الله**: ما جرى به نظامه في خلقه والجمع: سنن.

ـ **سنة الله**: حكمه في خليقته.

ـ **سنة الله**: منهجه، وقانونه الذي أقام عليه خليقته.

ـ **سنة الله**: ما شرعه وبينه لعباده - ليتحروه[٨].

عرض الآيات التي تضمنت مادة «سنن» مرتبة حسب صيغها

وردت مادة «سنن» في القرآن الكريم (١٨ مرة) ثماني عشرة مرة، ضمن (١١ آية) إحدى عشرة آية، من (١٠ سور) عشر سور، وقد جاءت بصيغتين، صيغة الجمع «سنن»، وصيغة المفرد «سنة».

أولا: أما ما جاء بصيغة الجمع فقد ورد مرتين فقط، مرة مطلقة غير مضافة: **﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾** ومرة مضافة للرسل ضمنا **﴿سنن الذين من قبلكم﴾**.

ثانيا: * وأما ما صيغته المفرد فقد وردت (أربع عشرة مرة) وكلها مضافة.

أ ـ منها: ما أضيف إلى الأولين. (٤ مرات).

ب ـ ومنها: ما أضيف إلى الرسل صراحة. (مرة واحدة)

ج ـ ومنها: ما أضيف إلى لفظ الجلالة (سنة الله) في الذين خلوا من قبل. (مرتين).

---

(٨) بتصرف: يراجع: (ترتيب القاموس، المعجم الوسيط، معجم ألفاظ القرآن..، المفردات في غريب القرآن للأصفهاني).

د ـ ومنها: ما أضيف إلى لفظ الجلالة (سنة الله) التي قد خلت في عباده. (مرة واحدة).

هـ ـ ومنها: ما أضيف إلى لفظ الجلالة (سنة الله) التي قد خلت من قبل. (مرة واحدة).

و ـ ومنها: ما أضيف إلى لفظ الجلالة (سنة الله)، ويدل على خاصية من خواص السنن الإلهية «ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا». (٤ مرات).

ح ـ ومنها ما أضيف إلى ضمير الجلالة (سنتنا) ويدل على خاصية من خواص السنن الإلهية «ولن تجد لسنتنا تحويلا» (مرة واحدة).

وفيما يلي عرض للآيات التي تضمنت هذه الصيغ:

أولا: صيغة الجمع:

أ/ ١ - صيغة الجمع المطلقة «غير مضافة»:

ـ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ (آل عمران: ١٣٧).

٢ ـ صيغة الجمع المضافة: (مضافة إلى «الذين من قبلكم»)

ـ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ . .﴾ (النساء: ٢٦).

ـ * والإضافة - هنا - في الظاهر لمطلق «الذين من قبلكم» وفي الحقيقة للرسل والصالحين السابقين (ضمنا).

ثانيا: صيغ المفرد:

ب/ ٣ - صيغة المفرد: سنة مضافة للأولين:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (الأنفال: ٣٨).

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ (الحجر: ١٣).

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ..﴾ (الكهف: ٥٥).

٦ ـ وقال تعالى: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ..﴾ (فاطر: ٤٣).

ج/٧ – سنة مضافة إلى الرسل نصا:

ـ قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ..﴾ (الإسراء: ٧٧).

ـ قال تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ...﴾ (النساء: ٢٦).

د/٨ – سنة مضافة للفظ الجلالة:

– في الذين خلوا من قبل

ـ ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٦)

٩ ـ ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ

لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ . . .﴾ (الأحزاب: ٦٢)

هـ/ ١٠ - التي خلت في عباده:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (غافر: ٨٤، ٨٥).

و/ ١١ - ج - التي قد خلت من قبل:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ . . .﴾ (الفتح: ٢٣).

ز/ - سنة مضافة للفظ الجلالة: وتدل على خاصية من خواص سنن الله، وقد جاءت خاتمة لثلاث آيات من آيات السنن السابقة:

قال تعالى:

١٢ - ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ (الأحزاب: ٦٢).

١٣ - ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (الفتح: ٢٣)

١٤ - ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ﴾

١٥ - ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣)

جـ/ ١٦ - سنة مضافة إلى ضمير الجلالة، وتفيد أيضا خاصية من خصائص سنن

الله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ (الإسراء: ٧٧)

معنى ودلالة «سنن، وسنة» في القرآن الكريم:

كلمة «**سنن**»، و«**سنة**» لها في اللغة معان، تحدثنا عنها فيما سبق، وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم ضمن سياقات وبصيغ عديدة، وهي في كل سياق لها معنى قد تأتي مطابقة لمعنى سابق، أو تأتي بمعنى جديد، أو بدلالة أخرى.

وباستعراض الآيات السابقة على الآية التي ورد بها لفظ «سنن، أو سنة» نجد أن هذه الآيات قد تضمنت سننا للسابقين، وسننا لله تعالى، أنزلها بهم ترتيبا على أعمالهم الاختيارية التي التزموها عنادا، فكأن الآية التي وردت بها، كلمة «سنة» إنما جاءت تعقيبا على ما تضمنته الآيات السابقة عليها مباشرة، أو من أول السورة التي وردت بها وكأن هذه الآية إنما جاءت للتنبيه إلى ما ورد في سابقاتها، ولتنص على أن السابق، كان سننا أو سنة، فما جاء في الآيات السابقة ضمنا، جاءت هذه الآية لتشير إليه نصا.

كما نلاحظ أن بعض الآيات التي تلت الآية التي ورد بها مادة «سن» تتضمن أيضا سنة أو أكثر من سنن الله، وكأنها من توابعها، فبعض هذه الكلمات «سنن أو سنة» قد تكون تعقيبا وإشارة إلى حشد من السنن الإنسانية وسنن الله الاجتماعية من أول السورة، وبعضها قد يكون تعقيبا على عدد محدد وسابق عليها مباشرة، ولما كان همنا التعرف على معنى ومدلول كلمة «سنن، وسنة» من ناحية، والتعرف على سنن الله من ناحية أخرى، فسنحتاج إلى التالي:

أولا: الرجوع لأقوال المفسرين وما استانسوا به من أقوال المفكرين والعلماء المسلمين، والسلف الصالح، في تفسير الآيات التي تضمنت مادة (سنن) مرتبة حسب ترتيب سورها في المصحف.

ثانيا: ثم نلقي ضوءا سريعا على الآيات السابقة عليها من أول السورة، ثم على الآيات التالية لها مباشرة إن تضمنت سننا أحداثها قريبة الصلة بالآية الأساس.

* وسنبدأ بآيات سورة آل عمران، ثم نتبعها بآيات السور التالية، حسب الترتيب الذي أوردناه.

آية سورة آل عمران:

١- جاءت تعقيباً على العديد من عادات السابقين مع أنبيائهم، ومعاملاتهم، وعدد من شرائع الله، وعدد من سننه سبحانه وتعالى مع المؤمنين، ومع المعاندني.

قال تعالى: ﴿**قد خلت من قبلكم سنن، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**﴾ (آل عمران: ٣٧، ٣٨).

- معنى «سنن» في جملة من التفاسير:

«سنن»: جمع سنة، وهي الطريقة، وفي معنى الكلام قولان[٩].

«سنن» أصل السنة: الطريقة المتبعة في الخير والشر، ومنه سنة النبي[١٠].

«سنن»: وقائع سنها الله في الأمم المكذبة[١١].

«سنن»: وقائع في الأمم المكذبة، أجراها الله حسب عادته. وهي: الإهلاك عند التمرد والعصيان[١٢].

«السنة»: الطريقة والخطة المتبعة، وسنة الله: ما جرى به نظامه في خلقه والجمع: سنن[١٣].

---

(٩) ابن الجوزي - في زاد المسير.
(١٠) الماوردي.
(١١) الشوكاني.
(١٢) الشيخ حسنين مخلوف - في صفوة البيان.
(١٣) مجمع اللغة العربية - في معجم ألفاظ القرآن الكريم.

تعقيب:

أ - لفظ «سنن» مطلق غير مقيد، فلم يضف إليه ما يقيده، فالسنة هنا - إذن - غير مقيدة بأنها سنة الله.

ويبدو أن هذا التوجه قد لحظه من قبل كل من العالمين الجليلين: الإمام الماوردي (٣٦٥-٤٥٠هـ)، والإمام عبدالرحمن بن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧هـ) ففي أحد قوليه يقول الماوردي: «سنن» يعني أنهم أهل سنن كانوا عليها في الخير والشر، وهو قول الزجاج.

ويقول ابن الجوزي: وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: قد مضى قبلكم أهل سنن وشرائع، فانظروا ماذا صنعنا بالمكذبين منهم، وهذا قول ابن عباس،

والثاني: قد مضت قبلكم سنن الله في إهلاك من كذب من الأمم، فاعتبروا بهم، وهذا قول مجاهد.

ب - لفظ «سنن» علق عليها جملة من المفسرين - ومنهم الإمام ابن كثير - فانصب اهتمامهم على سنة الله فيما أصاب المسلمين من قرح في غزوة أحد. فإذا انتبهنا إلى أن الكلمة جاءت بصيغة الجمع «سنن» لأدركنا أن هذه الآية إنما جاءت تعقيبا على جملة من السنن تضمنتها آيات السورة من أولها، ولا نستطيع أن نحجرها على سنة واحدة، ويقوى هذا التوجه بما ذكره الشوكاني في تفسيره: المراد بالسنن: ما سنه الله في الأمم من وقائعه: أي قد خلت من قبل زمانكم وقائع، سنها الله في الأمم..، وأصل السنن: جمع سنة، وهي الطريقة المستقيمة»[١٤].

* **فالخلاصة:** أن كلمة «سنن» هنا تدل على أحد معان ثلاثة، أو عليها جميعا:

---

(١٤) فتح القدير - للشوكاني ١/ ٣٨٣، ٣٨٤.

المعنى الأول: سنن وطرق معتادة للسابقين المصدقين، وأخرى للمكذبين.

المعنى الثاني: شرائع سنها الله للسابقين واللاحقين، ليتبعوها، ويلتزموا بها.

المعنى الثالث: عادة الله وطريقته الجارية فيما يوقعه بعباده المصدقين الملتزمين، ومقابلها بعباده الكافرين المشاقين، وغيرهم، كل على حسب عمله ومنهجه الذي التزمه... والله أعلم.

٢- وآية سورة النساء جاءت تعقيبا على عدد من التشريعات من أول السورة تتعلق باليتامى والإقساط إليهن، والسفهاء، والوصية، والميراث، والنكاح، وغير ذلك. فقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ..﴾ (النساء: ٢٦). قال الإمام ابن كثير: يخبر الله تعالى أنه يريد أن يبين لكم أيها المؤمنون ما أحل لكم، وما حرم عليكم مما تقدم ذكره في هذه السورة وغيرها: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني طرائقهم الحميدة، واتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها[١٥].

ويقول الإمام الشوكاني: «سنن الذين من قبلكم» أي طريقهم، وهم الأنبياء وأتباعهم، لتقتدوا بهم»[١٦].

تعقيب: فالسنة هنا: هو ما شرعه للأمم السابقة، وأوجبه عليهم في الأمور، التي وردت في هذه السورة، وأوجبها كذلك على المسلمين، فلا يجوز إهمالها، ولا يجوز تغييرها أو تبديلها.

٣ ـ **آية الأنفال**: جاءت بعد عدد من الآيات ذكرت مواقف للمسلمين وتوجيهات الله لهم، وآيات ذكرت مواقف للمشركين. منها:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ..﴾ (٣٠) ومنها: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ

---

(١٥) تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٧٩.

(١٦) فتح القدير ١/ ٤٥٢، وزبدة التفسير ١٠٤.

هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (٣١)، ومنها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ (٣٦)، ثم تأتي الآية التالية تعقيبا على ما سبق، وبيانا لحتمية وقوع سنن الله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال ٣٠-٣٨).

قال الإمام ابن كثير: «وإن يعودوا» أي يستمروا على ما هم فيه، فقد مضت سنة الأولين» أي فقد مضت سنتنا في الأولين: أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم؛ أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة.

وقال مجاهد: «فقد مضت سنة الأولين» أي في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم(١٧).

* وقال الشوكاني: «فقد مضت سنة الأولين» بما مضى في الأمم المتقدمة من عذاب من قاتل الأنبياء، وصمم على الكفر(١٨).

٤، ٥، ٦ - ومعاني كلمات «سنة في: (الحجر ١٣)، (الكهف ٥٥)، و(فاطر ٤٣) قال فيها العلماء نفس المعاني، أو بعبارات متقاربة من معاني وعبارات آية الأنفال السابقة.

٧ - آية سورة الإسراء: الآيات الخمس السابقة عليها مباشرة، تضمنت الإشارة إلى بعض سلوكيات المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوصية الله له، وتحذيره من عواقب استجابته أو ركونه أقل ركون لمحاولات المشركين معه، والآيات التي نعنيها هي: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾

(١٧) تفسير القرآن العظيم ٢/٣٠٨.
(١٨) فتح القدير ٢/٣٠٨.

إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ (الإسراء: ٧٣-٧٧).

وكثيرون من المفسرين لم يربطوا إلا بين آية السنة، والآية السابقة عليها مباشرة ﴿**وإن كادوا ليستفزونك**..﴾ (٧٦) ولكن بالتأمل نجد العلاقة قوية بين قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا...﴾ الآية، وبين الآيات الخمس السابقة عليها، بل إن الرابطة بين مدلولها وبين ما تضمنته السورة من أولها قوية جدا.

* ومن أقوال العلماء التي يتبين منها هذا التوجه: قال ابن كثير ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ قيل: نزلت في كفار قريش، هموا بإخراج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين أظهرهم، فتوعدهم الله بهذه الآية، أنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرا،... ولذا قال: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم: أن يأتيهم العذاب[١٩]... الخ.

وقال الإمام عبدالرحمن بن الجوزي: قال الزجاج ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾.

تأويله: أننا سننا هذه السنة فيمن أرسلنا قبلك، أنهم إذا أخرجوا نبيهم أو قتلوه لم يلبث العذاب أن ينزل بهم»[٢٠].

---

(١٩) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير ٣/٥٣.

(٢٠) زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي ٥/٧١.

ولكننا لا نستطيع أن نغفل دلالة ثانية لهذه الآية ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا...﴾.

* فقوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا...﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٣) وما بعدها، فمحاولات المشركين مع محمد - صلى الله عليه وسلم - ومشاقتهم له التي تضمنتها هذه الآيات الخمس، حدث مثلها للأنبياء السابقين من أممهم، فهذه المحاولات من الكافرين في كل العصور «سنة»، وعقاب الله عليها - أيضا - سنة أخرى.

فالتقدير: عادة الأمم السابقة أن الملأ منهم يعادون الأنبياء، ويحاولون أن يفتنوهم عما أوحاه الله إليهم، ويستفزوهم من الأرض، وهو نفس ما يحاوله الصهيونيون والصليبيون وصنائعهم العلمانيون وغيرهم من أعداء الإسلام مع المسلمين في فلسطين والبوسنة وغيرهما.

٨ - **آية سورة الأحزاب**:

ومن سنن الله - للأنبياء - كذلك - ما تضمنته الآية التي أضيفت فيها سنة إلى الله - آية الأحزاب -: ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ (الأحزاب: ٣٨).

وهذه الآية الكريمة، سبقتها آيتان كريمتان لهما صلة وثيقة بها، بل هما توطئة لها، وهي تعقيب عليهما أصالة، وعلى ما سبقهما تبعا.

الآية الأولى: تقرر قاعدة إيمانية هامة، مخالفتها تنفي الإيمان عن المخالف: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾

وإذا كان شأن المؤمن: عدم مخالفة ماقضى به الله ورسوله، فإنه من باب

أولى أن يكون من شأن الرسول، فالرسل جميعا شأنهم عدم مخالفة ما قضى به الله تعالى.

وهذه القاعدة الإيمانية، أو القانون الإيماني - بالنسبة للأنبياء - وثيق الصلة بقوله تعالى في الآية المعنية: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾ أي سنة الله في الأنبياء وغيرهم من قبل.

والآية الثانية: تقرر مبدأين تشريعيين كان معمولا بهما - في الجاهلية العربية - خلافا لشرع الله السابق الذي عمل به الأنبياء جميعا من قبل، لذا كان لا بد من إبطالهما، وإحلال تشريع الله فيهما محلهما، وهما:

الأول: التبني، بنسبة الولد إلى من تبناه لا إلى أبيه، ومثال ذلك زيد بن حارثة، فهو منذ تبناه الرسول - صلى الله عليه وسلم - صار يسمى زيد بن محمد، فأبطل الله ذلك بقوله تعالى: ﴿. . . جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ . .﴾ وقوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ (الأحزاب: ٤، ٥).

الثاني: تحريم الزواج من مطلقة الابن المتبنى، قياسا على تحريمه من مطلقة الابن الحقيقي، فأبطل الله ذلك بقوله تعالى: **﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله، وتخفى في نفسك ما الله مبديه، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا﴾**.

ثم تأتي الآية الكريمة التي نصت على أن هذا الحكم سنة من سنن الله شرعه للأنبياء السابقين واتبعهم المؤمنون بهم فيه، فشرعه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأمته، فمحمد عليه السلام ليس بدعا من الرسل، وأمته ليست بدعا من الأمم، فهذا التشريع سنة من سنن الله للجميع.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[٢١].

قال ابن كثير: أي فيما أحل الله له وأمره به من تزوج زينب - رضي الله عنها - التي طلقها دعيه زيد بن حارثة - رضي الله عنه -، وقوله تعالى: ﴿**سنة الله في الذين خلوا من قبل**﴾ أي هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج[٢٢].

وقال الشوكاني: «إن هذا هو السنن الأقدم في الأنبياء والأمم الماضية، أن ينالوا ما أحله الله لهم من أمر النكاح وغيره[٢٣].

٩ - والآية (٦٢) من الأحزاب: جاءت تعقيبا على آيتين ذكر فيهما حال النمافقين ومكايدهم، والعقوبة المقررة من الله لهم ولأمثالهم على جرائمهم إن لم يكفوا عنها، فجاءت الآية (٦٢) لتقرر أن حال هؤلاء وعقوبتهم ليس أمرا خاصا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ومنافقي عصره، من أمثال عبدالله بن أبي بن سلول وجماعته، بل هو سنة قديمة ثابتة.

أما الآيتان فهما: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ (الأحزاب: ٦٠، ٦١).

فجاءت الآية التالية تؤكد أن هذا قانون الله وسنته الثابتة تقع بهؤلاء كما وقعت بمن سبقهم.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ (الأحزاب: ٦٢).

---

(٢١) يراجع الآيات (٣٦-٣٨ الأحزاب).

(٢٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٩٢.

(٢٣) زبدة التفسير - من فتح القدير ٥٥٦.

* قال الإمام ابن كثير: أي هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا زيادة على نفاقهم وكفرهم، ولم يرجعوا عما هم فيه: أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم[٢٤].

* وقال الشوكاني: أي: سن الله ذلك في الأمم الماضية، وهو لعن المنافقين، وأخذهم، وتقتيلهم، وكذلك حكم المرجفين[٢٥].

١٠ ـ آية سورة غافر (٨٥): جاءت تعقيبا على آيات تضمنت الخبر عن بعض السابقين على محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ أصروا على الكفر فلما رأوا العذاب أعلنوا إيمانهم بعد فوات الأوان، فانطبقت عليهم سنة الله ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (غافر: ٨٥).

* قال ابن كثير: هذا حكم الله في جميع من تاب بعد معاينة العذاب: أنه لا تقبل لهم توبة، ولهذا جاء في الحديث: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» أي: فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة وعاين الملك فلا تقبل منه توبة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢٦].

* وقال الشوكاني: إن الله سبحانه سن هذه السنة في الأمم كلها: أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب[٢٧].

١١ ـ وأخيرا آية (٢٣) سورة الفتح: التي سبقتها أربع آيات تحدثت عن رضوان الله عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على القتال، وعدم الفرار في الحديبية، وما وعدهم به من مغانم كثيرة، فجعل لهم مغانم فتح خيبر، وكف أيدي المشركين عنهم، ثم جاءت الآية

---

(٢٤) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥١٩.
(٢٥) زبدة التفسير من فتح القدير ٥٦٠.
(٢٦) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٩٠.
(٢٧) زبدة التفسير ٦٢٩.

الخامسة في نتيجة القتال بين المشركين الذين يشاقون الله ورسوله، لا يجنحون إلى السلم، وحال المسلمين الذين يبايعون الله ورسوله على الجهاد، لإعلاء كلمة الله.

كما حدث يوم الحديبية قبل الصلح، حيث تعنت المشركون، ورفضوا السماح للرسول والمسلمين بأداء العمرة، وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عثمان بن عفان رسول سلام، فلم يستجيبوا، وحبسوه. فبلغ الرسول: أن قريشا قتلوا عثمان، فدعا الرسول - صلى الله عليه وسلم - المسلمين إلى البيعة على القتال، فتسابقوا يبايعون تحت الشجرة، على ألا يفروا.

تلك البيعة هي التي سميت «بيعة الرضوان» لنزول قول الله تعالى فيها: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾.

ثم تتلوها الآية التي تبين سنة من سنن الله، ففي حال ما لو أصر المشركون على موقفهم، وبدأوا المسلمين بالقتال، ولم يجنحوا للسلم الذي دعاهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - إليه، فإنهم تقع بهم سنة الله التي تضمنتها الآية الكريمة: **﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾**.

* قال ابن كثير: «سنة الله» أي: هذه سنة الله، وعادته في خلقه: أنه ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق، ووضع الباطل، كما فعل - تعالى - يوم بدر[٢٨].

* وقال الشوكاني: **﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار..﴾** يعني كفار قريش بالحديبية **﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾** من نصر أوليائه على أعدائه[٢٩].

---

(٢٨) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٩٢.

(٢٩) زبدة التفسير ٦٨٢.

خلاصة أقوال المفسرين في مدلول «سنة» في القرآن

نص الآية - وإسنادها	موجز أقوال المفسرين في معناها
١- ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ (آل عمران: ١٣٧)	أ - ما جرى على المسلمين في أحد جرى مثله على الأمم السابقة. ب - ما سنه الله في الأمم من وقائع.
٢ - ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (النساء: ٢٦)	أ - طرائقهم الحميدة، واتباعهم شرائع الله التي يحبها ويرضاها. ب - طرائقهم - لتقتدوا بهم.
٣ - ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: ٣٨)	أ - ما أحل بقريش يوم بدر، وبمن سبقها من الأمم. ب - بما مضى في الأمم السابقة من عذاب من قاتل الأنبياء وصمم على الكفر.
٤ - ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الحجر: ١٣)	مضمون الأقوال الواردة في معنى الآية (٣٨) الأنفال.
٥ - ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الكهف: ٥٥)	مضمون الأقوال الواردة في معنى الآية (٣٨) الأنفال.
٦ - ﴿... فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا.. فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ (فاطر: ٤٤)	مضمون الأقوال الواردة في معنى الآية (٣٨) الأنفال.
٧ - ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ (الإسراء: ٧٧)	أ - هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلهم، وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم: أن يأتيهم العذاب. ب - أننا سننا هذه السنة فيمن أرسلنا قبلك: أنهم إذا أخرجوا نبيهم أو قتلوه لم يلبث العذاب أن يحل بهم.
٨ - ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ..﴾ (الأحزاب: ٣٨)	أ - هذا حكم الله - تعالى - له وللأنبياء قبله، لم يكن يأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج. ب - هذا هو السنن الأقدم في الأنبياء والأمم الماضية: أن ينالوا ما أحله الله لهم.
٩ - ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ (غافر: ٨٥)	أ - هذا حكم الله في جميع من تاب بعد معاينة العذاب: أنه لا يقبل منه. ب - أن الله سن هذه السنة في الأمم كلها: أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب.
١٠ - ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا * سنة الله التي قد خلت من قبل﴾	أ - هذه سنة الله وعادته في خلقه: أنه ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل. ب - من نصر أوليائه على أعدائه.

*** صيغ مادة «سنن» في القرآن الكريم:**

* رأينا مادة «سنن» وردت في الآيات القرآنية بالصيغ الآتية:

أ ـ مطلقا: ﴿**قد خلقت من قبلكم سنن**﴾.

ب ـ مضافا إلى السابقين: ﴿**سنن الذين من قبلكم**﴾

﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾

﴿سنة الأولين﴾

ج ـ مضافا إلى الله تعالى: ﴿. . . **سنة الله في الذين خلوا من قبل**﴾

﴿. . .سنة الله التي قد خلت في عباده. .﴾

﴿. . .سنة الله التي قد خلت من قبل. . .﴾

د ـ مضافا إلى ضمير الجلالة: ﴿. .**ولن تجد لسنتنا تحويلا**. . .﴾.

فبالتأمل في سياق الآيات وأقوال المفسرين يمكن أن نقول بما يلي:

أولاً: إن لفظ «سنن» في قوله تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ مطلقة غير مضافة يراد بها: عادة الله تعالى التي أجراها دائما على الأمم السابقة من وقائع وأحداث، جزاء ونتائج لأسباب وسلوكيات معينة، وكلما تكررت الأسباب وقعت الجزاءات والنتائج، كما حدث للمسلمين في أحد وقال الله عنه: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ. . .﴾ (آل عمران: ١٤٢).

فالسنة هنا: عادة الله وطريقته وحكمه – وبعبارة أخرى: قانونه المطرد الذي لا يتخلف.

ثانيا: لفظ سنة مضافا إلى العباد من السابقين، أمم، وأفراد، وأنبياء:

أ ـ فما أضيف للأمم: قوله تعالى: ﴿**ويهديكم سنن الذين من قبلكم**﴾ وهذه نرى أنها تحتمل معنيين:

المعنى الأول: ويهديكم الله إلى ما سنه للأمم قبلكم، وبعث به الأنبياء إليهم.

المعنى الثاني: ويهديكم إلى الطرق الحميدة، والعادات الرشيدة، التي اتبعها من آمنوا قبلكم، من الأمم السابقة في تنفيذ ما جاءهم به أنبياؤهم، وأحبها الله منهم، ورضي عنهم.

ب - ومما أضيف إلى الأنبياء السابقين: قوله تعالى: ﴿**سنة من قد أرسلنا قبلكم من رسلنا**﴾، وفيها أيضا: أنها تحتمل معنيين:

المعنى الأول: شرع الله ومنهاجه الذي سنه للأنبياء وأتباعهم، من أنه لا حرج عليهم من أن يتزوجوا من مطلقات أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا.

المعنى الثاني: أن هذه عادة الأنبياء والمؤمنين من الأمم السابقة: أن ينالوا ما أحل الله لهم من الزواج وغيره، ولا يتحرجون، فهم قدوة لغيرهم، ولذا قال تعالى: ﴿**كي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا. .**﴾.

ج - وسنة في «فقد مضت سنة الأولين» بمعنى عادة الله وحكمه، ووقائعه التي يجريها على المنافقين وغيرهم من الكافرين والمشركين.

ثالثا: لفظ سنة مضافا إلى الله تعالى: أو مضافا لضمير الجلالة، كلها تأتي بمعنى: وقائع الله وأحكامه التي تجرى على عباده، وتحل بهم، بحسب ما وقع منهم، فلم تتخلف ولم تتبدل.

أ - من تسليط المؤمنين على المنافقين ومن في قلوبهم مرض، والمرجفين.

ب - ومن عدم قبول إيمان من أصروا على الكفر حتى رأوا العذاب.

ج - ومن نصر المؤمنين على الكافرين في كل موطن فيصل ماالتزموا - قدر طاقتهم - بما أمرهم به، وانتهوا عما نهاهم عنه.

رابعا: الغالب المعتبر في إضافة السنن:

الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ «سنة» مضافا إلى لفظ الجلالة «سنة الله» أو إلى ضمير الجلالة «سنتنا» تتجلى فيها نسبة السنة إلى الله تعالى، وأنها من فعله - سبحانه - وفق حكمته وإرادته.

وأما الآيات التي أضيف فيها لفظ سنة إلى غير الله تعالى مثل: **﴿سنن الذين من قبلكم﴾**، **﴿سنة الأولين﴾**، **﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾** وغيرها، فإن ظاهر النص يفهم منه إضافة السنة للعبادة، أما المعنى والمراد في هذه الآيات: فإنه يحتمل نسبة السنة إلى الله، كما يحتمل إضافتها إلى من أضيفت إليه، ويمكن القول: إن المراد من إضافة «سنة» إلى غير الله تعالى: إنما هو من قبيل إضافة الشيء إلى محل وقوعه، أو للفت النظر إلى من وقعت فيهم هذه السنة، ليكون ذلك أدعى للاعتبار والاهتمام.

وقد ختمت آيتان من الآيات المضافة لغير الله بتعقيب يخصص نسبة السنة لله تعالى:

١ - في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ (الإسراء: ٧٧).

٢ - وفي قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ (فاطر: ٤٣).

وفي هذا التعقيب بيان وتأكيد على أن المعتبر هنا: نسبة السنة إلى الله - تعالى - بصرف النظر عن إضافتها إلى من أضيفت إليه.

غرضنا من هذا العرض: نخلص مما سبق إلى أغراض ثلاثة:

١ - حصر معاني «سنة» في القرآن الكريم.

٢ - استنباط تعريف اصطلاحي لعبارة «سنن الله في المجتمعات».

٣ ـ بيان خصائص «سنن الله تعالى»، سواء في الكون أو في المجتمعات.

الغرض الأول: حصر معاني كلمة «سنة» في القرآن الكريم مما سبق من أقوال المفسرين، وملاحظتنا لسياق الآيات التي تضمنتها، والتي سبقتها، وكانت تعقيبا عليها، نجدها جاءت بالمعاني الآتية:

١ ـ سنة بمعنى: طريقة متبعة

٢ ـ سنة بمعنى: عادة دائمة.

٣ ـ سنة بمعنى: حكم وجزاء لا يتغير ولا يتخلف.

٤ ـ سنة بمعنى: تشريع وقواعد سلوك يجب أن تطبق.

٥ ـ سنة بمعنى: وقائع تقع حتما (ثوابا أو عقابا) على أعمال العباد.

ويضاف إلى ذلك وقائع تقع ابتلاء للمؤمنين، أو بلاء واستدراجا للمعاندين.

تعريف السنن اصطلاحا

الغرض الثاني: تعريف «سنن الله في المجتمعات» اصطلاحا:

يمكن استنباط تعريف اصطلاحي لعبارة «سنن الله في المجتمعات» التي أصبحت عنوانا لموضوعات، بل لعلم جديد تتضمنه آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فغدت هذه العبارة مصطلحا علميا، اعتمادا على سياق الآيات، وأقوال المفسرين والمعاني اللغوية لهذه العبارة، ولذا فيمكن أن نقول:

«سنن الله في المجتمعات» هي: وقائع الله التي جرت عادته بإنزالها بعباده على أعمالهم الاختيارية التي استمرأوها ولم يتحولوا عنها، ثوابا لمن وافقوا منهج الله، أو عقابا لمن كفروا أو شاقوا الله ودعاته، أو ابتلاء للمؤمنين، أو إملاء، أو استدراجا للطغاة، وكذا ما وضع الله لعبادة من شرائع.

وتعريف سنن الله الكونية اصطلاحا هي:

«نواميس الله تعالى وقوانينه الأزلية التي تضبط حركة المخلوقات من: الأجرام، والمركبات، والعناصر، وغيرها. في تكامل وانسجام، من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة، يؤدي كل منها ما خلق من أجله، دون أدنى خلل أو تخلف **﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾**، **﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾**.

الغرض الثالث: خصائص سنن الله في المجتمعات:

في عرض الآيات التي تضمنت كلمة «سنة» ومشتقاتها في القرآن الكريم رأينا أربع آيات ضمنت كل منها عبارة يستفاد منها صفة أو خاصية من خصائص سنن الله. وهذه العبارات على التوالي حسب ترتيب المصحف:

١ - ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٧).

٢ - ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٢).

٣ - ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ﴾ (فاطر: ٤٣).

- ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).

٤ - ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح: ٢٣).

نلاحظ أن الجمل الختامية هي التي تضمنت النص على خصائص سنن الله تعالى، ونلاحظ أن كل جملة تصدر بحرف عطف يفيدالتعقيب، وحرف «لن» يفيد النفي.

وكلمة (تجد) استقصاء مضمون ما بعدها على مر الزمان والمعنى، أن من

يستقصي تاريخ البشرية، ويطلع على حاضرها - ولو اطلع على مستقبلها - فلن يجد سنة من سنن الله تحولت عمن استحقوها، ولا تبدلت بغيرها.

فهي قد وقعت في الغابرين والحاضرين على من استحقها، ولا بد أن تقع في المستقبل، وفق قدرها الذي قدره الله، بصرف النظر عن زمان ومكان وحال من وقعت منهم أسبابها ومقدماتها. فهي سنن عامة ومضطردة في الخلق. ولذا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ (الزلزلة: ٧، ٨)، ﴿...وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩).

وعلى ذلك فإن خصائص سنن الله تعالى «في الكون، وفي المجتمعات»:

١ - عدم التبدل: أي الثبات والدوام.

٢ - عدم التحول: أي العموم (العالمية) والاضطراد.

فالملحوظ. إذا -: أن سنن الله في المجتمعات البشرية تتسم بأمرين:

١ - **الخاصية الأولى**: الثبات والدوام؛ فهي لا تختلف من زمن إلى زمن، ولا من مكان إلى مكان، لأنها ليست من صنع ظروف المناخ في الدولة، ولا هي ناتجة عن ظروف البيئة الجغرافية أو الاقتصادية، وهي ليست خاضعة لإرادة المخلوقات وما يعتريها من تحول وتذبذب، وإنما هي خاضعة لإرادة الله المطلقة، التي تخضع لها نواميس الكون والوجود، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ٢)، ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨).

٢ - والاضطراد: فهي ذات طابع عالمي، تنطبق على الناس جميعا، أفرادا وجماعات، وأمما، ملوكا ومملوكين، سادة وعامة، أغنياء وفقراء، مسلمين وكافرين، سلفا وخلفا، عربا وعجما، بدوا وحضرا، في كل زمان ومكان.

ونظرة على تواريخ الأمم السابقة عامة، وتاريخ الأمة الإسلامية خاصة، تجلي هذه الحقائق.

فأقوام: نوح، ولوط، وسبأ، وعاد، وثمود، وأصحاب الأيكة، وغيرهم جاءتهم رسلهم بالبينات، يعرفونهم بالله وما ينبغي له من توحيد وتوقير وشكر وعبادة، فلما كفروا وجحدوا المنعم، واستكبروا في الأرض، حاقت بهم سنن الله التي لا تتخلف.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (العنكبوت: ٤٠).

ولما راجع قوم يونس أنفسهم، وخافوا العذاب الذي أنذرهم به رسولهم، وعجوا إلى الله بالتوبة والاستغفار رحمهم الله، وشملهم بلطفه وعفوه ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ (يونس: ٩٨).

هذه سنن الله في حالي الإيمان والكفر:

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٢). كذلك الذي يطالع تاريخ الأمة الإسلامية يجدها محكومة بنفس السنن التي لا تحابي ولا تجور، فالمسلمون لما اعتصموا بحبل وبكتابه وانعطفوا إلى دينهم سعدوا وسادوا، وما عصر الراشدين، أو عصر عمر بن عبدالعزيز، ومن تأسى بهم في أحقاب التاريخ، كنور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي بغائب عن الأذهان.

فلما انفكوا عن دينهم، ووالوا أعداء الله وأعداءهم، هووا، وصاروا إلى ما هم فيه اليوم، والأمر مرهون بعودتهم مرة أخرى إليه، ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).

القرآن أول من أرشد إلى السنن الاجتماعية:

والقرآن الكريم هو أول من أرشد إلى وجود نواميس تحكم المجتمعات، وأول من صرح بأن للنوع الإنساني وجودا عاما، وأن سنن الله عامة، خلقها الله لتعمل في كافة المجتمعات الإنسانية، على حسب ما يطرأ على كل مجتمع من أحوال؛ وهنا نلحظ أمرين بارزين هما:

أ - أنه تعالى أمر بالسير في الأرض، والنظر في أحوال الأمم...

﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧)، (النحل: ٣٦).

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (النمل: ٦٩).

﴿... كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ (العنكبوت: ٢٠)، ﴿... عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الروم: ٤٢).

ولا معنى لأن يأمر بذلك إلا إذا كانت السنن الإلهية عامة خلقها الله للجميع على السواء.

ب - أن رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - للبشر كافة، وأنها رحمة لمن اهتدى بها من العالمين.

- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨).
- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

فلولا أن الله تعالى جعل لكافة الناس حالا عاما يخضع لنواميس مشتركة، لما أرسل لهم رجلا واحدا، بمنهج يصلحهم جميعا، منذ بعثته إلى يوم الدين، وجعله رحمة لهم عامة، حيث أنهم من «العالمين»[٣٠].

---

(٣٠) بتصرف: يراجع: تاريخ الدعوة، د. جمعة الخولي ١/ ١٢، ١٣، دائرة معارف القرن العشرين ١/ ١٥٦.

تعقيب:

يقول د. جمعة الخولي - يرحمه الله - عن السنن الإلهية في المجتمعات:

إذا كان للكون سننه المضطردة، وقوانينه الثابتة التي تحكم مسيرته، وتضبط عوالمه من الذرة إلى المجرة، كقوانين الجاذبية، والطفو، والحرارة، والبرودة، وغيرها. فإن للمجتمعات الإنسانية قوانين عامة - كذلك - تضبط مسيرتها، وتبين عوامل تقدمها وتقهقرها، وبقائها وفنائها، هذه القوانين تتلخص في أن الله جعل بقاء الأمم ونماءها في التحلي بالفضائل، والعفة عن الشهوات، والالتزام بتعاليم الأنبياء، وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها. سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الأمم، ولا تتبدل بتبدل الأحيال... أ.هـ.

ومن الآيات التي تشير إلى هذه السنن:

في شكر النعمة وكفرها: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ (إبراهيم: ٧).

في تغير الجزاء بتغير الحال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

مثال لسنة جزاء كفر النعمة: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (النحل: ١١٢).

سنة البقاء للأصلح: «فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ (الأعراف: ١٢٨).

فالقرآن يبين أن عوامل البقاء أو الفناء، والازدهار أو الذبول، والنصر أو الهزيمة - في حياة الأمم - ترتبط كلها بمقدار قرب الأمة من الله، أو بعدها عنه، وبمدى التزامها بتعاليمه أو تفريطها فيها. هذا ما أشار إليه القرآن الكريم بجلاء ووضوح تامين، أما عرض نماذج من سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم فسوف نفرد له بحثاً مستقلاً، بإذن الله تعالى.

خاتمة

كشفت هذه الدراسة عن عدد من الحقائق:

١ ـ أن عبارات «سنن الله الكونية، أو في الكون»، «سنن الله الاجتماعية، أو في المجتمعات الإنسانية» ونحو ذلك، أصبحت مصطلحا أو مفهوما عن فرعين جديدين في مجال الدراسات الإسلامية المستفادة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢ ـ أن مجال هذين الفرعين من المباحث لا يزال بكرا، وينمو بتزايد اهتمام الدعاة والباحثين، فالاستشهاد بالحقائق التي تتضمنها هذه السنن وإبرازها له أثر طيب في مجال الدعوة والتدريس.

٣ ـ أن مادة «سنن» لها في اللغة العربية معان كثيرة جدا، وأبرز المعاني المتصلة بموضوعنا:

أ ـ **«سنة الله»**: ما جرى به نظامه في خلقه.

ب ـ **«سنة الله»**: حكمه في خليقته.

ج ـ **«سنة الله»**: منهاجه وقانونه الذي أقام عليه خليقته.

د ـ **«سنة الله»**: ما شرعه وبيّنه لعباده - ليتحروه.

(ترتيب القاموس، المعجم الوسيط، معجم ألفاظ القرآن، المفردات في غريب القرآن).

٣ ـ أن عبارة «سنة الله» والتأكيد على أن سنة الله (جنس سنن) لا تتبدل ولا تتحول، قد ورد قديما منذ السنوات الأولى لبدء الدعوة الجهرية - حيث نزلت الآية الكريمة: ﴿**فهل ينظرون إلا سنة الأولين، فلن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا**﴾ في سورة فاطر.

وسورة فاطر مكية نزلت قبل إسلام عمر في السنة الخامسة من البعثة - أي

خلال السنوات الثلاث الأولى، بعد انتهاء ثلاث سنوات من البعثة فتر فيها الوحي عن رسول الله.

٤ ـ وردت مادة «سنن» في القرآن الكريم وحده (١٨ مرة) ضمن (١١ آية) في (١٠ سور) من القرآن الكريم، وقد جاءت بصيغتين:

أولاً: صيغة الجمع «سنن» وقد وردت مرتين فقط في القرآن، في واحدة مضافة، والثانية غير مضافة.

﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ أي وقائع الله التي أوقعها بالأمم قبلهم.

﴿سنن الذين من قبلكم﴾ طرقهم الحميدة في اتباع ما جاءت به رسلهم.

ثانيا: صيغة المفرد (١٤ مرة)، ولكها مضافة:

أ ـ مضافة إلى الأولين «سنة الأولين» (٤ مرات)

ب ـ مضافة إلى لفظ الجلالة **﴿سنة الله في الذين خلوا﴾** (مرتين)

﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ (مرة واحدة)

﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾ (مرة واحدة)

ج ـ مضافة إلى لفظ الجلالة بصيغة «سنة الله» وتدل على خاصية من خواص السنن الإلهية في صيغ أربع هي على التوالي:

﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ (٤ مرات)

د ـ مضافة إلى ضمير الجلالة، وتدل على خاصية من خصائص السنن.

﴿ولن تجد لسنتنا تحويلا﴾ (مرة واحدة)

٥ ـ أن سنن الله تعالى: سواء السنن الكونية، والسنن الاجتماعية تتسم بخاصيتين: عدم التبدل، وعدم التحول:

أ ـ الثبات والدوام **﴿ولن تجد لسنتنا تبديلا﴾** فهي لا تتخلف من زمن

إلى زمن، ولا من مكان إلى مكان، فهي من صنع الله، وفق قوانينه، لا من تأثير المناخ، وظروف المجتمع، وتغير الزمان.

ب ـ الاضطراد: ﴿**ولن تجد لسنتنا تحويلا**﴾ فهي ذات طابع عالمي تنطبق على أمم الأرض جميعا، لا تتأثر باختلاف الأجناس، والأديان والمذاهب والأحوال الاقتصادية والعلمية وغيرها.

٦ ـ أن معانيها في التفاسير تدور حول المعاني اللغوية، وتركز عليها، مع بعض التخصيص الذي يناسب سياق الآية التي وردت فيها الكلمة أو الآيات السابقة عليها مباشرة، أو التي جاءت معقبة عليها.

٧ ـ أن كثيرا من المفسرين بل معظمهم لم يربط بين الآية التي وردت بها كلمة «سنن، سنة» وبين الآيات التي تضمنت سننا لله وسننا اجتماعية من أول السورة، بل كان جل اهتمامهم حول مضمون الآية نفسها فقط، أو مضمونها بالإضافة إلى الأحداث المتصلة بموضوعها في الآيات السابقة عليها.

مع أن كل سورة وردت بها آية تضمنت مادة «سنن» بصيغة جمع تدل صراحة على الكثرة بالجمع والتنكير، مما لا يجوز معه قصرها على سنة واحدة تضمنتها آية أو آيات محدودة معها، بل تدل على أنها تعقيب على كل سنن الله من أول السورة إلى تلك الآية، وإشارة إلى ما جاء بعدها متصلا بمضمونها أو تفريعا عليها، وأمثلة على غرارها.

وما ورد بصيغة المفرد «سنة» نجد من سياق الآيات ما يدل على أن الكلمة تدل على الجنس مثل ﴿**سنة الله في الذين خلوا**﴾ فالذين خلوا أمم كثيرة، وحلت بهم سنن كثيرة.

٨ ـ ما ورد في أقوال المفسرين مما يعتبر تخصيصا لمعنى «سنة، سنن» حسب السياق، فمن ذلك:

أ ـ ﴿ **قد خلت من قبلكم سنن**﴾: قيل فيها: ما جرى على المسلمين

في أحد جرى مثله على الأمم السابقة، وقيل: ما سنه الله في الأمم من وقائع.

* ويلاحظ هنا عدم الربط بين السنن التي جرت على «من قبلكم» من أول السورة، بل خصت - فقط - بما جرى للمسلمين في أحد.

ب - ومنه ﴿**ويهديكم سنن الذين من قبلكم**﴾ قيل فيها: شرائعهم الحميدة، واتباعهم شرائع الله التي يحبها. وقيل: طرائقهم، لتقتدوا بهم.

ج - وفي ﴿**ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله**﴾: قيل فيها: هذا حكم الله له، وللأنبياء قبله، لم يكن يلزمهم بشيء فيه حرج، وقيل: هذا هو السنن في الأنبياء والأمم الماضية: أن ينالوا ما أحل الله لهم.

٩ - أن لفظ «سنن» في ﴿**قد خلت من قبلكم سنن**﴾ - مطلق وجمع - يدل على كل السنن التي أجراها الله على السابقين، فهي قانون مضطرد من قوانينه - تعالى - في الكون والمجتمعات، شأنه شأنها.

١٠ - ولفظ «سنة» المضاف إلى الله - إلى لفظ الجلالة «سنة الله»، وإلى ضمير الجلالة «سنتنا» واضح النسبة إلى الله تعالى.

١١ - ولفظ «سنة» المضاف إلى العباد: أمما، وأفرادا، وأنبياء، فيه احتمالان:

أ - أن يكون المقصود: سنة الله فيهم.

ب - سنتهم هم.

مثل: ﴿**ويهديكم سنن الذين من قبلكم**﴾ يحتمل معنيين.

أ - يهديكم الله إلى ما سنه للأمم من قبلكم، وبعث به الأنبياء إليهم.

ب - ويهديكم إلى الطرق الحميدة والعادات الرشيدة التي اتبعها المؤمنون قبلكم من الأمم السابقة في تنفيذ ما جاء به أنبياؤهم وأحبها الله منهم.

ومثل: ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾

أ ـ شرع الله ومنهاجه الذي سنه للأنبياء ومن آمنوا، من أنه لا حرج عليهم في أن يتزوجوا من مطلقات أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا.

ب ـ أن هذه عادة الأنبياء والمؤمنين من الأمم السابقة: أن ينالوا ما أحل الله لهم من الزواج وغيره، ولا يتحرجوا فهم قدوة لغيرهم.

١٢ ـ وضع تعريف اصطلاحي لموضوع «سنن الله الاجتماعية» أو في المجتمعات:

سنن الله الاجتماعية هي: وقائع الله التي جرت عادته بإنزالها بعباده على أعمالهم الاختيارية، التي استمرأوها ولم يتحولوا عنها، ثوابا لمن وافقوا منهج الله، أو عقابا لمن كفروا وشاقوا الله ودعاته، أو ابتلاء للمؤمنين، أو استدراجا وإملاء للطغاة، وكذا ما وضع الله لعباده من شرائع.

١٣ ـ أن سورة آل عمران وحدها - وهي أول سورة بترتيب المصحف ورد بها لفظ سنة فيها (ثلاثون سنة اجتماعية) هذا غير ما يمكن أن نسميه سننا نفسية، ولذا كانت بلاغة التعبير عنها والتعقيب عليها بصيغة الجمع ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾.

١٤ ـ أن القرآن الكريم قد بيّن أن للنوع الإنساني وجودا عاما، لذا أرسل الله لهم نبيا برسالة عامة، وشريعة عامة، وكتاب هداية للوجود الإنساني العام إلى آخر الدهر، باعتبار محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء والمرسلين، فقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧).

مما يدل على أن تلك سنن عامة، تعمل في المجتمعات الإنسانية، فلا معنى لأن يأمر الله بالسير في الأرض والنظر في تواريخ الأمم السابقة وآثارها إلا إذا كانت السنن الإلهية عامة، وأن ما لحق بكل منها لحق بالآخرين، وأنه لابد أن يلحق بنا، وبمن بعدنا، وبكل من يتلبس بنفس الأسباب التي بها لحق السابقين،

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ (سبأ: ٣٨).

١٥ ـ أن الله تعالى نص على الحكمة التي من أجلها قص علينا أخبار السابقين وما حل بهم من آيات الله تعالى وسننه، فقال تعالى عقب آية آل عمران: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾ (آل عمران: ١٣٨).

والله ولي التوفيق،،،

ثبت المراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانيا: معجم القرآن وتفاسيره:

٢ ـ تفسير القرآن العظيم – للإمام: أبو الفداء – إسماعيل بن كثير – دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣ ـ فتح القدير – الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – للعلامة: محمد بن علي بن محمد الشوكاني. ط. مصطفى البابي الحلبي – القاهرة – ١٣٨٣هـ/ ١٩٩٤م.

٤ ـ زاد المسير في علم التفسير – للإمام عبدالرحمن بن الجوزي – المكتب الإسلامي – دمشق – ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٥ ـ النكت والعيون – تفسير الماوردي – أبو الحسن بن علي بن حبيب الماوردي – المصري ط ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م الكويت – وزارة الأوقاف.

٦ ـ زبدة التفسير – من فتح القدير – د. محمد سليمان الأشقر – وزارة الأوقاف – الكويت – ط. الثانية – ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ثالثا: كتب السنة

٧ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول: للإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير – تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط – ط. مطبعة الملاح – بيروت – ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٨ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري – للإمام الحافظ أحمد بن علي بن

حجر العسقلاني - ط. دار الريان للتراث - القاهرة - ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

رابعا: المعاجم اللغوية

٩ ـ المعجم الوسيط - د. إبراهيم أنيس، وآخرين - ط. مجمع اللغة العربية - القاهرة - ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٠ ـ ترتيب القاموس: الطاهر أحمد الزاوي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

خامسا: كتب السير والتواريخ

١١ ـ الطبقات الكبرى - لابن سعد - ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - السعودية (طبعة خاصة) ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٢ ـ سيرة النبي - أبو عبدالله محمد بن عبدالملك بن هشام - تحقيق العلامة الشيخ محيي الدين عبدالحميد (ط. خاصة) إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض - السعودية - مصورة عن ط. مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.

١٣ ـ تاريخ الدعوة - د. جمعة علي الخولي - ط. دار الطباعة المحمدية - القاهرة - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٤ ـ الأسفار المقدسة، للديانات السابقة على الإسلام - د. علي عبدالواحد وافى - دار النهضة - الفجالة - القاهرة - ١٩٨٣م.

١٥ ـ حاضر العالم الإسلامي - د. مستشار علي جريشة - ط. مكتبة وهبة - القاهرة - ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.